التربية الوقائية في القرآن الكريم

فاتح قيا[1]

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الأسس والمبادئ التي تُبنى عليها التربية الوقائية في القرآن الكريم ، وذلك من خلال بيان مفهومها في اللغة العربية ، وفي الاصطلاح اللغوي ، ويوضح المنهج القرآني في بناء مجتمع يقوم على الفضيلة والعزة والكرامة والقوة ، والابتعاد عما يفسدها ويضعفها ، من خلال ترسيخ مفاهيم الإيمان في القلوب والعقول والنفوس ، ورفع بناء الضمير في تلك النفوس وما جاورها من نفوس أخرى يمكن أن تتأثر بها . ويعرض البحث الجوانب المعنوية ، والجوانب المادية المكونة لتلك الأسس والمبادئ . أما الجوانب الوقائية فيعالجها البحث من حيث الجانب الدنيوي ، وكذلك الجانب الأخروي ، منبهًا إلى حاجة المجتمع المسلم إلى التمسك بمبدأ التربية الوقائية ويتكون هذا البحث من العناصر الآتية : المقدمة ، وإشكالية البحث ، والمنهج البحثي ، وخطة البحث ، والخاتمة والنتائج التي توصل إليها البحث وأهم توصياته ، والمصادر والمراجع . لقد تمثَّل سبب اختيار هذا البحث فيما نراه الآن في المجتمع الإسلامي من تدهور في الجانب التربوي ، وابتعاد عن السلوك القويم الذي يقي الإنسان من شرور نفسه ، وشرور من حوله ، والمعاقبة في الآخرة . يقوم منهج البحث في هذه الدراسة على العناصر الآتية : أولًا: رصد الأسس التي تُبنى عليها التربية الوقائية في القرآن الكريم وثانيًا : محاولة تأمل هذه الآيات في ضوء معالجتها لمشكلات العصر الحديث .

الكلمات المفتاحية : التربية، الوقائية، القرآن، الجوانب

Abstract

This study deals with foundations and principles in the Quran on which are built on preventive education through its lexical meaning according to Arabic language and its terminological meaning. It explains Quranic method to built a society which is based on virtue, dignity, generosity, power, getting away from what distrupts and weaken these feature by way of establishing concepts of faith in hearts and minds and souls, and uprising consciences in these souls and another souls around might be impressed. This study reveals physical and non-physical aspects which consist of those foundations and principles. As for the preventive aspects, they will be handled in this study with earthly and otherworldly sides, by reminding of Muslim society's needs to stick with preventive education foundation and

[1] أستاذ التربية الدينية المساعد ، بكلية الإلهيات (الشريعة) – جامعة بايبورت ، تركيا

recovering its effects tol progress of Muslim society and its development and submitting the good values for our monothesitic religion. And so that appears the preventive education for people in the Muslim and faithful society that they need to base on some faith principles such as avoiding from paganism and hypocrisy and having that moral which erosion the society. So that, there are some moral pricipals like avoindg from weakness of intention and exhaustion and sickness and fear. And there are some social principles that the society sould be built on it such as prohibiting gossip and slandering and hypocrisy and mocking and publishing what people hate to others and there are some economic principles that would demolish the society like drinking.

Keywords: Education, Preventive, the Quran, Morality

مقدمة

لقد مُنِيَ العالم الإسلامي في المرحلة الأخيرة من العصر الحديث بكثير من الانحرافات الأخلاقية ، سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أم المستوى الجماعي. وفي اعتقادي أن هذه الأزمة قد تولَّدَت من ابتعاد المسلمين عن منهج القرآن الكريم في التربية الصحيحة التي تقي الإنسان المسلم من كثير من مظاهر الأذى الداخلية الكامنة في نفسه ، أو الخارجية التي تلحقه من غيره . وإذا تأملنا ديننا الحنيف : قرآنًا وسنة، وجدناه قد وضع لنا منهاجًا عمليًا تربويًا، إذا سرنا عليه سبقنا الأمم كلها في إسعاد أنفسنا أولًا ، ثم إسعاد البشرية ثانيًا . وهذا ما التزم به الرعيل الأول من المسلمين ؛ فحظوا بسعادة الدارين : الدنيا والآخرة . ومن هذا المنطلق ، جاء هذا البحث ؛ ليعرض هذه المشكلة ، مبينًا الأسس والمبادئ التي تُبْنَى عليها التربية الوقائية في القرآن الكريم ، للفت الانتباه إلى ما ينبغي علينا –نحن المسلمين – التحلي به بالاغتراف من هذا المعين الصافي ؛ لغرس مفهوم هذا النوع من التربية في نفوسنا ونفوس أبنائنا؛ لينهض المجتمع الإسلامي ، ويؤدي الدور الحضاري المطلوب منه جهة الآخرين من بني البشر .

المحور الأول : التعريف بأهم مصطلحات البحث

أولاً : التعريف اللغوي

إن من يتأمل عنوان هذا البحث، يجده يضم لفظين مهمين: التربية، والوقائية. أما في لفظ التربية ، فيقول الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) :"الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حد التمام، يقال : رَبَّهُ ورَبَّاهُ ،ورَبَّبَهُ "٢. ويقول الأصمعي : "ربوت في بني فلان: أي نشأت فيهم ، وربيت فلانًا أُرَبِّيهِ تَرْبِيَةً ، وتَرَبَّيْتُهُ ورَبَّيْتُهُ بمعنى واحد . ويقول الجوهري : ربَّيْتُهُ تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُهُ أَيْ غَذَوْتُهُ". ويقال : تربى ، أي تَنَشَّأَ وتَغَذَّى وتَثَقَّفَ٣.

(2) (الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن : تحقيق صفوان عدنان داوودي : ٢٠٠٩ : ٣٣٦) .

(3) (ابن منظور : لسان العرب ، ربا)

ولما كان لفظ (التربية) يعني – في اللغة – التنشئة والتثقيف والتغذية ، فإنه يعني – مجتمعيًا – بناء وعي الإنسان وتغذية مداركه وبناء شخصيته بما يفيده ، لا ما يضره . سواء كان هذا ما يخص الإنسان الفرد ، أو ما يخص تربية أبنائه من بعده . وهذا ما حث عليه الإسلام دائمًا ، كما سنرى في ثنايا هذا البحث .

أما لفظ (الوقائية) ، فهو مشتق من المادة الثلاثية (وقى) . وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني : "الوقاية : حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره . يقال : وقيتُ الشيء أَقِيهِ وقايةً ووقاءً ٤ .

ويقول ابن منظور : " وقاه الله وقيًا ووقايةً وواقيةً : صانَهُ . ووقيتُ الشيء أَقِيهِ إذا صُنْتُه وسترتُه عن الأذى"٥. ووقى الشيء وقايةً وواقِيَةً : صانهُ عن الأذى وحَمَاهُ .ويقال : وقاهُ اللهُ من السوء، ووقاهُ السوءَ . ووقى الأمر وَقْيًا ووُقِيًّا : أصلحَهُ ، ووقَّاهُ توقيةً : حفظه وصانه٦.

ويتضح من هذا المعنى اللغوي أن (الوقائية) تعني الحفظ ، والصيانة، والحماية ، والستر من الأذى ، سواء في المعنى الروحي الإيماني أو في المعنى المادي الظاهري . وسواء في الدنيا أو في الآخرة .

وينبغي أن يُعلم أن الجانب الوقائي من الجوانب الجوهرية التي اعتنى بها المنهج القرآني للتربية ، وما هذا الاهتمام والعناية بهذا الجانب سواء في الجانب الفردي أو الجماعي إلا لأن الإنسان مجبول على الإيمان ، فهو في حاجة إلى الوقاية أكثر من العلاج٧ .

ومن هذه المادة أُشْتُقَّ الفعل (اتَّقَى) . وقد وردت هذه المادة كثيرًا في القرآن الكريم. ففي الماضي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا **وَاتَّقُوا** اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٩) .

وفي زمن المضارع قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الزمر: ٢٤) . وفي الأمر قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب : ١) .

ثانيًا : التعريف الاصطلاحي

إن مصطلح التربية الوقائية من المصطلحات المعاصرة التي تُذكر وتُتَداول على ألسنة كثير من الكتاب . وهو يعني إبرام للنصح مع النفس ، ومع الآخرين ، في معظم جوانب الحياة المعيشة ؛ لأجل تحقيق الارتقاء فيها ، وزيادة الغرس المتين والبناء القويم ٨.

([4]) (الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٨١) .

([5]) (ابن منظور : لسان العرب ، وقى)

([6]) (المعجم الوسيط ، مادة (وقى)

([7]) (عوض بن حمد الحسني : بحث بعنوان (منهج القرآن الكريم في التربية) ، ١٤٣٥هـ / ١٤٣٦هـ : ١٧)

ويمكن تعريف التربية الوقائية بأنها مجموعة الوسائل والأساليب المتخذة لحماية الفرد والمجتمع عن المساوئ ، وتحذيرهم من الوقوع في المهالك ، من خلال عملية إصلاح ، وتنمية ، وتهذيب ، وتوجيه شامل[٩].

المحور الثاني : الأسس المعنوية التي تسهم في بناء التربية الوقائية

لما كان مصطلح التربية يعني التنشئة والتثقيف ...إلخ ، ومصطلح الوقائية يعني الحماية والصيانة والحفظ ...إلخ ، على المستويين : المعنوي والمادي ، كان لابد أن تكون هناك أسس ومبادئ تُربِّي الفرد المسلم وتُنَشِّئُه وتُغَذِّيهِ ؛ كي يحمي نفسه ويقيها ويصونها ويبعدها عن كل ما يضرها : معنويًا وماديًا ، دنيويًا وأخرويًا.

أساس الإيمان

والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجد كثيرًا من تلك الأسس المعنوية الروحية التي ينبغي على الإنسان المسلم أن يتغذى ويتثقف ويتحلى بها . ولكن ينبغي التنبه إلى شيء مهم ، هو أن الوقائية قد تتجلى في القرآن الكريم بطريقة مباشرة ، مثل قوله تعالى ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان :١١) وقوله تعالى : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر : ٤٥) . وأحيانًا تأتي ضمنية بدخول الجنة ، الذي يعني الوقاية من النار .

وكان من الطبيعي أن يرد الإيمان بالله عز وجل على رأس هذه الأسس . وهنا نقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ **آمَنُوا** وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة : ٢٥) .

إن تأمل الآية الكريمة السابقة يطلعنا على أن الإيمان الذي نتج عنه عمل الصالحات كان سببًا في وقاية الإنسان من النار ودخوله الجنة (**آمَنُوا** وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (النتيجة) (أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ) . ولكرامة فعل الإيمان وأهميته، لم يبشرهم الله سبحانه وتعالى بالجنة فحسب ، بل ساق لهم بعضًا من صفاتها (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ – كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا – وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

وذِكْرُ هذه الصفات على هذا النحو ،وكذلك في مواضع أخرى في القرآن الكريم، يدل على أمرين : **الأول** إظهار جزاء المؤمنين بالله سبحانه وتعالى . و**الأخير** تحفيز غير المؤمنين به سبحانه على التحلي بالإيمان الكامل للحصول على أجر المؤمنين .

وإذا كان أساس الإيمان من الأسس المهمة في تربية الإنسان المسلم ، فإنه ينضاف إليه أساس آخر منبثق منه وهو (عمل الصالحات) . وقد ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ارتباط هذين الأساسين ، ونجاة صاحبهما

([8]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ١٢)

([9]) المصدر السابق : ١٥)

من النار ، وفوزه بالجنة . يقول مولانا عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(يونس : ٩) .

أساس التقوى

ولما كان أساس الإيمان هو أهم تلك الأسس التي يتربى عليها الفرد المسلم ، فقد انبثقت عنه أسس كثيرة . منها على سبيل المثال أساس (التقوى) ، الذي يعني في الوقت نفسه الوقائية . وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات تشير إلى وقائية الشخصية المسلمة التي تربَّت على هذا المبدأ المهم . يقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(الحجر: ٤٥ – ٤٨) .

أساس الخشية والخوف

كما مثل مبدأ (الخوف) أساسًا مهما من أسس التربية الوقائية ؛ إذ إن الخوف من الله جل في علاه يؤدي حتمًا إلى نجاة الفرد المسلم من كل سوء وأذى ، وحمايته من الشرور ، ويجعله يحظى برضا الله سبحانه وتعالى ، والفوز بجنته . وهنا يقول مولانا جل في علاه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن : ٤٦) .

وفي قوله: (جنتان) يقول الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) :" فإن قلتَ : لِمَ قال(جنتان)؟ قلتُ : الخطاب للثقلين ؛ فكأنه قيل : لكل خائفَيْنِ منكما جنتان : جنة للخائف الإنسي ، وجنة للخائف الجني . ويجوز أن يقال : جنة لفعل الطاعات ، وجنة لترك المعاصي "١٠. وفي تثنية (جنتان) يقول ابن عاشور (ت : ١٣٩٣هـ) : " يجوز أن يكون المراد : جنسين من الجنات . ويجوز أن تكون التثنية مستعملة كناية عن التعدد ، وهو استعمال موجود في الكلام الفصيح وفي القرآن ١١.

وعلى كل حال ، فإن الأجر المذكور في الآية الكريمة ، المتمثل في قوله (جنتان) يدل على عظم الثواب ، وجمال الوقائية من النار ، لمن خاف مقام ربه . ومعنى مقام ربه : أي موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة١٢ ، أو بمعنى الشأن والعظمة "١٣.

وفي أساس (الخوف) يحذرنا الله سبحانه وتعالى من أن تُبْنَى شخصية الفرد المسلم أو تتربى على الخوف من الشيطان وأوليائه ، بل ينبغي أن يتربى المسلم على الخوف من الله سبحانه وتعالى . يقول مولانا : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران : ١٧٥) .

([10]) (الزمخشري : الكشاف ، ١٩٩٥ : ٤ / ٤٤٠ – ٤٤١) .

([11]) (الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٩٨٤م ، ٢٧ / ٢٦٤، ٢٦٥)

([12]) (الزمخشري : الكشاف ، ١٩٩٥ ، ٤ / ٤٤٠)

([13]) (الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٩٨٤م ، ٢٧ / ٢٦٥)

وبالتأمل في جماليات الآية الكريمة ، نجد أنها شملت أساسين من أسس التربية الوقائية : الخوف والإيمان . فإن قيل : أين الوقائية في ذلك ؟ قلتُ : الوقائية مذكورة في آيات أخرى .وهي الآيات السابقة التي ذكرناها في ثمرة الخوف والإيمان. وهذا الاتجاه في تحليل لغة القرآن الكريم هو المسمى بتفسير القرآن بالقرآن .

وفي قصة ابني آدم نقرأ قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة : ٢٧ – ٣٠) .

وفي هذه الآيات الكريمة نلحظ الآتي : أولًا أن جزاء التقوى قبول العمل (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) . ثانيًا : أن ثمرة الخوف تتمثل في الوقائية من فعل الذنوب في الدنيا (مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) ، ووقائية الفرد المسلم من النار في الآخرة ، وفوزه بالجنة ، كما بينا في الآيات السابقة . ثالثًا: أن عدم الخوف من الله يكون عاقبته وقوع الإنسان في الظلم والخسران ، ومن ثم دخول النار (فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) .

ولنا في هذه القصة عبر كثيرة ؛ ما يخصنا فيها في هذه الدراسة ، هو التأمل في كيفية بناء الشخصية على الخوف والتقوى ، وبيان نتيجتهما المتمثلة في الوقائية في الدراين : الدنيا والآخرة . وعلى الجانب الآخر انتفاء هذه الوقائية عمن لا يتحلى بهذين المبدأين ، ومن ثم خسرانه في الدارين كذلك .

وأحيانًا تعتمد الآيات القرآنية على الربط بين أساس (التقوى والخوف) ، تاركة للقارئ الكشف عن الوقائية في آيات الذكر الحكيم في مواضع أخرى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام : ٥١) .

ومما يلحق بأساس الخوف ، أساس (الخشية) . وفي هذا الأساس يقول ربنا جل في علاه : ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (طه١-٣) . ومعنى ذلك أن القرآن الكريم لا يكون تذكرة إلا لمن يخشى الله ويتقيه ، ويخاف جانبه ، ويرجو جناته . وهذا هو من سينال وقائية الله وحمايته من كل أذى وسوء ، سواء في الدنيا أو في الآخرة .

وعلى الجانب الآخر ، لا يكون القرآن تذكرة لمن تُبْنَى شخصيته على الكفر والشرك ، ويتثقف عقله على الضلال والباطل ، ويتغذى على الحرام معنويًا وماديًا؛ إذ إن هذا الشخص هالك لا محالة ؛ فلم يتربَّ على الأسس والمبادئ القويمة التي تؤدي إلى الوقائية .

وفي بعض الآيات القرآنية ، ترد بعض تلك الأسس التي تكون التربية الوقائية مرتبطة ببعضها ، مثل (الخشية والخوف والتقوى) . يقول الله عز وجل : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء : ٩) .

ومما يلحق بأساس (الخشية) أساس (الرجاء) . يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢١٨) . وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف : ١١٠) . وغير هذه المواضع في آيات الذكر الحكيم .

أساس الرجاء

والمتأمل في أساس (الرجاء) يدرك أنه أساس يحتاج إلى ما يُبْنَى عليه من سمات التربية الوقائية . فالإنسان الراجي رحمة ربه ، لا يمكن له أن يصل إلى هذه المرتبة – مرتبة الرجاء – إلا إذا اتصف وتربى بصفات تسبق هذه المرتبة . وهي الأسس التي ذكرناها آنفًا : الإيمان والتقوى والخشية والخوف . وليس ذلك فحسب ، بل هناك أساس مهم وهو (الطاعة) ؛ إذ كيف للإنسان أن يرجو ما عند الله سبحانه وتعالى ، دون تحليه بمثل هذه المبادئ القويمة المكونة للتربية الوقائية ؟!!.

وإذا عدنا للآيتين السابقتين ، وجدنا أن أولاهما قد اشتملت على سمات (الإيمان ، والهجرة –المعنوية والمادية– والجهاد) قبل الوصول إلى مرتبة (الرجاء) . وكان نتيجة ذلك كله هو الوقائية من العذاب والعقاب ، المفهومة – ضمنًا – من نيل الإنسان لرحمة الله ومغفرته (أُولَئِكَ **يَرْجُونَ** رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

أما الآية الثانية ، فقد أحيط أساس (الرجاء) بالإيمان المفهوم من قوله (أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ، وكذلك عمل الصالحات (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) ، وكذلك الابتعاد عن الشرك (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) .

أساس الطاعة

ويلحق بالأسس السابقة أساس (الطاعة) . ولأهمية هذا الأساس في التربية الوقائية للفرد المسلم ، ورد في أسلوب الأمر في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران : ٣٢) . وفي ورود أساس (الطاعة) في أسلوب الأمر .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء : ٥٩) ،

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال : ٢٠) .

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور : ٥٤) ،

وقال تعالى : ﴿ويَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد : ٣٣) . وقد تنوعت هذه الآيات بين طاعة الله سبحانه و تعالى وطاعة الرسول ، وطاعة أولي الأمر .

وكما قلنا من قبل : يمكن ألا يظهر مبدأ الوقائية في الآية الكريمة ، ويحتاج إلى تأويل وتأمل ونظر في مواضع أخرى . فمثلًا في هذا الموضع ، لم تذكر الآية الكريمة الوقائية الناتجة عن الأمر بالطاعة (أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) ، لكنها تفهم من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(النور : ٥٤) . ولما كانت الهداية لا تعني إلا معرفة طريق الله وعبادته ، فإن الثمرة والنتيجة النهائية تتمثل في الوقاية من النار في الآخرة .

أما قوله تعالى (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) ، يعني أن عدم الطاعة والتولي والذهاب إلى الكفر ، لا ينتج عنه إلا كره الله لهذا الصنف من البشر الذي لم تتربَّ نفسه على أساس الطاعة ، ومن ثم عدم وقايته وحمايته سواء في الدنيا أو الآخرة .

وأحيانًا يتم الربط بين أساس الطاعة والخشية والتقوى . يقول تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (النور : ٥٢) . وإذا تأملت الآية وجدت أن مبدأ الوقائية قد تمثل في الفوز (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) ، وفي بعض المواضع يتمثل في الفلاح ، بعدما يتصف صاحبه بكثير من مبادئ التربية الوقائية . وإن شئت اقرأ المقطع الأول من سورة البقرة وهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة : ١ – ٥) .

المحور الثالث : أهمية الوقاية

مما لا شك فيه أن للتربية الوقائية دور كبير في بناء المجتمعات الإسلامية على اتساع رقعة العالم الإسلامي ، فبها يبنى البناء المتين للمجتمع مما يعطي دلالة واضحة على قوة ومتانة المجتمع وتماسكه ، وقوته أمام المتغيرات التي تحدث من حين إلى آخر ، كما يعطيه قوة ومتانة أمام الأهوال التي تواجه المجتمع المسلم من متغيرات تحاول أن تقضي عليه وتزيل آثار قوته وتفوقه وبخاصة تفوقه الإيماني والنفسي الذي بني عليه من قبل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

الوقاية من مخالفة أمر القائد

للتدليل على أهمية الوقاية ، كوقاية النفس من المعاصي ، أو من مخالفة أمر القائد ، أو من التصرفات غير الصحيح ، أو عدم الأخذ بالأسباب ، نذكر أن انقلاب نصر أحد إلى هزيمة جاء نتيجة لمخالفة أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ونزولهم من أعلى جبل أحد ، فالإلتزام بأمر الأمير ضروري للنجاح في المعركة ، وكذلك وقاية لهم

من التفرق والتشرذم والضعف ، قال تعالي : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (الأنفال : ٤٦) . وقال تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران : ١٠٣) ١٤ .

الوقاية في المجال الطبي

وكذلك في المجال الطبي وجد في العصر الحديث مصطلح الطب الوقائي ، وهو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالات الصحية ، وأسسوا شعبة العلاج النفسي فيها ، لاتقاء الأمراض كالتطهير والتلقيح والعزل الصحي ، وغير ذلك من أمور وقائية حديثة ١٥.

وقاية المجتمع والأفراد

ولهذا فإن الله تعالى أمر بصلاح الفرد والمجتمع بأمره بالتقوى والإيمان الصادق ، لأنها خير وقاية للإنسان من الوقوع في الخطيئة والزلل في غواية الشيطان ، واتباع النفس وشهواتها ، ومجالسة أهل الزيغ والضلال وأصدقاء السوء ، ولاتباع أوامر الله ونواهيه تكمن سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية ١٦.

المحور الرابع : الأسس المادية التي تسهم في تكوين التربية الوقائية

إذا كان من درسناه فيما سبق يمثل الأسس والمبادئ المعنوية الروحية التي تسهم بشكل أساسي ومهم في تكوين التربية الوقائية ، فإن ثمة أسسًا ومبادئ مادية ، لا تقل أهمية في الإسهام في تكوين التربية الوقائية . وإذا كان مبدأ الوقائية الذي يُعد ثمرة للتحلي بتلك الأسس والمبادئ قد تجَلَّى في دار الدنيا ، وكذلك دار الآخرة ، وكذلك فإن المتتبع لخطوات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يجدهما ذاخرين بالتدابير والتوجيهات والوصايا الوقائية على كل صعيد ، مما يؤكد أن عملية التربية في الإسلام تهدف إلى قطع الطريق على العامة قبل حدوثها ، وتقي الأفراد والمجتمع منها قبل وقوعها ، وبذلك تقي البيئة الإسلامية معافاة من الأمراض والعلل والمشكلات والآفات التي تفتك بسائر البيئات الأخرى ، وحري بمناهج التربية على الساحة الإسلامية أن تستشف معالم هذا النهج القويم والفريد في كل مراحل التربية ، وفي مختلف مجالاتها العقيدية والفكرية والروحية والحركية والأمنية وغيرها ، وبذلك

([14]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم: ٢٠٠٩ / ٢٦ – ٢٧)

([15]) (أحمد شوقي الفنجري : الطب الوقائي في الإسلام ، تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث ، ١٩٩١ ، ص ١٠ ، حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ٢٧)

([16]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم: ٢٠٠٩ : ٣٠)

يمكن أن تستقيم كثير من الأمور ، وتختفي كثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسرمية ١٧ ، وفيما يلي أهم الأسس المادية التي تسهم في تكوين التربية الوقائية لأمراض المجتمع .

أولاً :العلم

ولأن بالعلم يحصل كمال الروح وانشراح الصدر ، ورفعة قدر المؤمن إلى درجة عظيمة ، وعلو شأنهم ، فقال الإمام علي بن أبي طالب " العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق١٨ ، ولهذا كان على المؤمن العلم أولا قبل العمل ، لأن من عمل قبل العلم يوقع نفسه في الضلال ، وازد في حق نفسه الجهل والضعف والخذلان١٩.

ثانيًا : الاجتناب

وقد ورد هذا الأساس في القرآن الكريم كثيرًا ، منها قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ **اجْتَنَبُوا** الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨) .

من الواضح أن تحلي الفرد المسلم بسمة اجتناب الطاغوت ، أي الشيطان٢٠ والاتصاف بصفة الإيمان يحميه من الشرك ، ومن ثم يُبشر ، ويُهدى ، ويصبح من أولي الألباب .

وفي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ **يَجْتَنِبُونَ** كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى : ٣٧) . فإن قيل : إذا كان أساس الاجتناب الخاص بالتربية مذكورًا في صيغة المضارع (**يَجْتَنِبُونَ**) فأين ذكر الوقائية ؟ قلتُ : تم ذكر الوقائية في الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ؛ لأن جملة (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ) عطف على (الذين آمنوا) ٢١. فإن قيل : وما الوقائية فيما تقدم ؟ قلتُ : ألا تمثل خيرية ما عند الله وبقائه للذين آمنوا خير مظاهر الوقائية ؟!!؛ إذ لولا الوقائية من النار ، لما حصل المسلم على هذه الخيرية وهذا البقاء .

وفي أسلوب الأمر يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة : ٩٠) . وإذا تأملنا النسيج اللغوي للآية الكريمة ، نجدها احتوت على تلك العناصر : مجتنب منه ، وسبب الاجتناب ، وفعل الاجتناب ، وثمرة الوقائية . وقد تمثل ذلك في

([17]) (فتحي يكن : التربية الوقائية في الإسلام ، ١٩٨٧ ، ص٤٣)

([18]) (الهندي : كنز العمال، ١٩٨٩ ، ١٠ / ص ٢٦٢)

([19]) (يوسف محمد السيد : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ٢٠٠٤ : ٢٩٩ – ٣٠٠)

([20]) (الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ٢٠٠١م ، ٢٠ / ١٨٣)

([21]) (الزمخشري : الكشاف ، ٤ : ٢٢٢)

الآتي : (الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ) رِجْسٌ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المجتب منه المادي) (سبب الاجتناب) (فعل الاجتناب) (الوقائية) .

وإذا كان المجتنب منه يقع في الإطار المادي ، فإن الوقائية تتعدد مظاهرها بين المعنوي الروحي والمادي المجتمعي . فإن قيل : كيف ؟ قلتُ : إن تحلي الشخصية الإنسانية باجتناب الخمر يؤدي إلى وقاية الإنسان وحمايته من نواح متعددة : الناحية المالية ، المتمثلة في الإبقاء على ثمن الخمر وإنفاقه فيما أحله الله ، والناحية الإيمانية الروحية ،بالمحافظة على سلامة العقل ورجاحة الرشد ، وكذلك الناحية الصحية بالمحافظة على صحة البدن وحمايته مما يؤذيه .

وإذا كانت هذه الوقائية تبدو على المستوى الفردي ، فإنها بطبيعة الحال ستُصب في مصلحة المجتمع ككل ؛ فالحفاظ على المال الفردي يعني الحفاظ على الاقتصاد المجتمعي ، والتحلي بالإيماني الروحي يعني صلاح المجتمع أخلاقيًا ، كما أن الحفاظ على الصحة وحمايتها مما يضرها يعني المحافظة على سلامة المجتمع في مجموعه . ولا يتم كل هذا إلا بالتزام أفراد المجتمع وتحليهم بهذه الأسس والمبادئ التي تسهم في تكون التربية الوقائية .

وفي بناء الشخصية الإنسانية على اجتناب الميسر ، ترد سمة الوقائية في مظهرين : الحفاظ على المال ، والحفاظ على الوقت . أما اجتناب الذبح عند الأنصاب ، فتتمثل سمة الوقائية منه في مظهر روحي وهو وجوب التقرب إلى الله في النسك ، لا إلى غيره . وفي اجتناب الأزلام ، ما يدل على الوقائية من عدم الإيمان بقضاء الله وقدره . وعلى هذا النحو ، تنوعت الوقائية ما بين الروحية والمادية .

وإذا أردنا أن نتعرف على انتفاء الوقائية لمن يخالف هذا ، علينا أن نستكمل قراءة قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة : ٩١) . فالوقوع في العداوة والبغضاء ، والصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، لمن الآفات التي تصيب النفوس العطبة ، والأرواح الخاوية ، والضمائر الخربة ، والقلوب المقفلة ، والآذان الصم .

وهذه الآفات لا تصيب إلا من لم يُربِّ نفسه على الأسس القويمة ، والمبادئ الحكيمة التي تسهم في التربية الوقائية . أعاذنا الله وإياكم من هؤلاء .

وإذا أردنا أن نتعرف على انتفاء الوقائية من المجتمع بتخلي أفراده عن هذا الأساس ، علينا أن نعود إلى أسباب نزول هذه الآية . وهنا يقول السيوطي (ت : ٩١١هـ) :" روى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال : إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا ، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض ، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته ، فيقول : صنع بي هذا فلان أخي ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم

ضغائن ، فيقول : والله لو كان بي رؤوفًا رحيمًا ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم ، فأنزل الله هذه الآية "٢٢.

ولقد علمنا القرآن الكريم درسًا مهمًا في وجوب تحلي الفرد المسلم بسمة (الاجتناب) . فحوى هذا الدرس ، ان الحق سبحانه راعى مخاطبة العرب في عملية اجتناب الخمر والميسر . وقد تجلت هذه المراعاة في تدرج عملية تحريمهما. يقول تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة : ٢١٩) ٢٣.

وفي أسباب نزول هذه الآية الكريمة يقول النيسابوري (ت : ٤٦٨هـ) : " نزلت في عمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مَذْهَبةً للعقل مَسْلَبَةً للمال ، فأنزل الله تعالى هذه الآية "٢٤.

وإذا تأملنا النسيج اللغوي لهذه الآية الكريمة ألفينا الآتي : أولًا أن إجابة النبي ﷺ عن سؤال القوم عن الخمر بدأت ببيان الإثم (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ) ، قبل إظهار النفع (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) . ثانيًا : أن الآية وصفت الإثم بلفظ (الكبير) (إِثْمٌ كَبِيرٌ) ، في حين لم تصف (النفع) بأي وصف يدل على أهميته للناس . ثالثًا : عند مقارنة الآية الكريم الأثم بالنفع ، بدأت بالأثم كذلك ، مستخدمة صيغة أفعل التفضيل (أكبر) لبيان ضرر الخمر والميسر على الفرد والمجتمع (وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) .

وكما هو واضح، فقد لفتت الآية الكريمة انتباه الإنسان العربي إلى بيان الضرر، في حين لم تأمرهم بعدُ بالاجتناب . وكل هذا تلطف من الله سبحانه وتعالى من خلال الخطاب القرآني بعقل العرب وفهمهم ؛ إذ هو خالقهم ويعلم تمام العلم مدى حبهم لهاتين الصفتين .

فلما ساء الأمر ، وبدأ المجتمع في التدهور الإخلاقي – كما رأينا في أسباب نزول آية سورة المائدة عند السيوطي – نزلت آية سورة المائدة بالتحريم٢٥ .

فإن قيل : أين التحريم ، وقد قال الله (اجتنبوا) ؟ أجاب الزمخشري بقوله في آية المائدة : " أكد تحريم الخمر والميسر وجوهًا من التأكيد : منها تصدير الجملة بإنما ، ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ، ومنها قوله ﷺ (شارب الخمر كعابد الوثن) ، ومنها أنه جعلهما رجسًا ، ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان ، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ، ومنها أنه أمر بالاجتناب . ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح . وإذا كان الاجتناب

([22]) (السيوطي : أسباب النزول ، ٢٠٠٢م : ١٠٩)

([23]) (الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١٩٨٨م ، ١ / ١٩٤)

([24]) (النيسابوري : أسباب النزول ، ١٩٩١م : ٧٣)

([25])(دسوقي إبراهيم : خواتم الآيات التي تشمل أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية ، ٢٠١٦م : ٧)

فلاحًا ، كان الارتكاب خيبة ومحقة . ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال ، وهو وقع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر ، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله ، وعن مراعاة أوقات الصلاة "٢٦.

وفي لفظ (فاجتنبوه) يقول الإمام الطبري : " يقول – أي الله سبحانه وتعالى – : فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه "٢٧ .

ثالثًا : أساس الزكاة

ومن هذه الأسس وتلك المبادئ ، أساس (**الزكاة**) . لكن ينبغي أن نعلم أن هذا الأساس لا يقتصر على الجانب المعنوي فحسب ، بل له جانب محسوس كذلك . ولأن أساس (الزكاة) فرض ، فقد حدده الشرع ؛ لكونه أحد الفروض الخمس التي يُبنى عليها الإسلام . وفي مبدأ (الزكاة) يقول تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة : ٤٣) . وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة : ٢٧٧) . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة : ٥٥) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن فقال : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم" ٢٨.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم لم يُفَصِّلْ أنواع الزكاة ، ولا أنصبتها ، وإنما ترك هذا الأمر للسنة الشريفة . ومن الثابت أن هناك أنواعًا كثيرة للزكاة ، منها زكاة المال ، وزكاة الزروع ، وزكاة التجارة ...إلخ . وهي ما انشغلت به كتب الفقه ووضحته .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان"٢٩.

ولما كانت الزكاة تعني التطهير والإنماء والإصلاح٣٠ ، كانت الدروس الوقائية الناجمة عنها تحمل تلك المعاني كذلك ؛ فـ(الزكاة) على المستوى المادي تعني وقاية المال وتطهيره من كل ما يمكن أن يلوثه من حرام ،

---

(26) (الزمخشري : الكشاف ١ / ٦٦٠ ، ٦٦١)

(27) (ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ٧ : ٢٥)

(28) (ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٣ / ٢٦١)

(29) (ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ١ / ٤٩)

(30) (ابن منظور : لسان العرب ، ١٩٩٤، مادة (زكا)

وإنماء لهذا المال وزيادة فيه ، ووقاية للنفس البشرية من البخل . كما تتمثل عملية الوقائية في إصلاح وتهذيب الفرد المتحلي بأساس (الزكاة) . هذا على المستوى الفردي للوقائية .

أما من الناحية المجتمعية ، فإن وقائية الزكاة تعني **أولًا** : وقاية المجتمع وحمايته وصيانته من الفقر والعوز . **ثانيًا** حماية المجتمع من انتشار بعض الأمراض الخلقية غير القويمة مثل السرقة واغتصاب الأموال ونهب الثروات . **ثالثًا** حماية المجتمع ووقايته من انتشار بعض الأمراض النفسية مثل الحقد والحسد والكره والغل ؛ إذ بتحلي الفرد المسلم بأساس (الزكاة) ينزع فتيل الكره من الفقير للغني .

وقد ورد أساس (الزكاة) – لغويًا – في القرآن الكريم في الصيغ الزمنية الثلاثة : الماضي الذي يقول فيه مولانا سبحانه وتعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ **وَآتَى الزَّكَاةَ** وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(البقرة : ١٧٧) ، وكثير غير هذا الموضع . وفي صيغة المضارع يقول ربنا عز وجل : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ **وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة :٥٥) .وفي صيغة الأمر يقول ربنا سبحانه وتعالى :﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ **وَآتُوا الزَّكَاةَ** وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة : ٤٣) . وغير هذا الموضع كثير . ولعل القارئ الكريم يلحظ التنوع في الخطاب بين المفرد والجمع .

ومما هو داخل في إطار أساس (الزكاة) أساس (الإنفاق) في سبيل الله عز وجل . وكما أن لمبدأ (الزكاة) نوعين من الوقائية : مادية ومعنوية ، وفردية ومجتمعية ، كذلك يكون لأساس (الإنفاق) . يقول مولانا جل في علاه : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ **صَدَقَةً** تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة : ١٠٣) .

نزلت هذه الآية في رهط كانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وقد ندموا على ذلك ، وعلقوا أنفسهم في سواري المسجد ، فلما رآهم النبيﷺ قال : من هؤلاء ؟ قالوا : النفر الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وقد أقسموا ألا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم ، فقال : لا أطلقهم حتى أؤمر ، فلما أطلقهم قالوا : يا رسول الله : هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدَّق بها عنا ، وطهرنا ، واستغفر لنا ، قال : ما أُمِرْتُ أن أخذ شيئًا من أموالكم ، فنزلت الآية٣١. ومن الواضح أن الأموال التي يريد أصحابها أن يعطوها إلى رسول الله ﷺ الهدف منها هو التطهير الروحي المعنوي ، وكذلك التهذيب والإصلاح النفسي لهؤلاء الأفراد؛ إذ جَمْع هذه الأموال هو الذي أقعدهم عن الذهاب إلى غزوة تبوك . هذا من جانب أصحاب الأموال . أما فيما يخص الأموال ذاتها ، تصبح هذه الصدقة

([31]) (النيسابوري : أسباب النزول ، ٢٦٣)

طهارة للأموال بعد أن حَرَمَتْ أصحابها من الاشتراك في غزوة تبوك . ومن ثم تصبح هذه الأموال حلالًا صافيًا لأصحابها .

وعلينا أن نبتعد كثيرًا بفكرنا فنقول : إنَّ هذا كان درسًا للمسلمين على مختلف العصور ، في التحذير من أن يشغل المال صاحبه عن العبادة أو يعطله عن عمل الخير ، أو يكون نقمة عليه لا نعمة ، مما يدل على تحقيق مبدأ الوقائية الفردية والمجتمعية ، سواء في زمن نزول القرآن ، أو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي هذا ما يدحض دعم القائلين بارتباط القرآن الكريم بزمن معين ، والنظر إليه والتعامل معه بوصفه منتجًا ثقافيًا خاصًا ببيئة معينة وزمن محدد٣٢.

وعلى هذا النحو تجلَّت عملية الوقائية هنا في مظهرين : مظهر معنوي روحي ديني إيماني خاص بأصحاب الأموال ، وآخر مادي خاص بالأموال ذاتها ، فردي خاص بالصحابة الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، مجتمعي خاص بكل أفراد المجتمع ، آني يعالج مبدأ الوقائية في زمانه ، تُعاقبي يشمل كل العصور الزمنية .

رابعًا : الإنفاق في سبيل الله

وفي الإنفاق في سبيل الله يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٥) . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة : ٢٥٤) .

وقد ورد كذلك أساس (الإنفاق) . ففي صيغة الماضي يقول ربنا عز وجل : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا **أَنْفَقُوا** مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (النساء : ٣٤) . وغير هذا الموضع كثير . وفي الحاضر يقول : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ **يُنْفِقُونَ**﴾ (البقرة : ٣) ، والأمر كما ذكرت لك في المتن ، وغيره كثير .

ولكنه مع الأمر بالإنفاق جعل التبذير في نفقته أمر سيء ، فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان : ٦٧) . وهذا وقاية للمؤمن المسلم من الفقر .

ومن الدروس الوقاية لمبدأ (الإنفاق) حماية النفس البشرية من الشح . يقول مولانا جل في علاه : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر : ٩) .

نحن الآن في هذه الآية أمام مظهرين من مظاهر الوقائية للتحلي بأساس (الإنفاق) ، يؤدي أحدهما إلى الآخر ، أو ينتج أحدهما عن الآخر ، على هذا النحو : (يُحِبُّونَ ، وَلَا يَجِدُونَ ، وَيُؤْثِرُونَ) وما لحقهم من معاني

(32) (نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، ١٩٩٠ :١٥٩)

(الوقائية من الشح) وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ (الوقائية الناتجة عن وقائية الشح ، وهي الابتعاد عن النار)هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

ورغم أن هذه الآية نزلت بسبب ٣٣ ، فإنها تصلح لكل زمان ولكل مكان ؛ كي ينتشر الحب بين الناس ، ويتوارى الكره ، وتندحر البغضاء ، ويُحرق الحسد ، ويصبح المجتمع مجتمعًا مثاليًا ؛ لأن الإسلام لا ينتظر حتى تحدث المشكلة ، ثم يضع لها حلًا ، وإنما كفانا ربنا سبحانه عناء البحث عن الحلول بشريعته الغراء.

ولعظم هذا الأساس عند الله جل وعلا سماه (إقراض) : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد : ٨) ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل : ٢٠) . وغير هذه المواضع .

أما النتيجة العكسية التي يُمنى بها من لم يتحلَ بهذه الصفة أو يتمسك بأساس (الإنفاق) ، فيكون جزاؤه على هذا النحو : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة : ٣٤ ، ٣٥) .

وأحيانًا يجمع أساس (الإنفاق) بين المال والنفس . يقول مولانا سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (التوبة : ٢٠) .

وكما بين الله سبحانه وتعالى وقائية الإنفاق بالمال والنفس ب(الفوز) ، الذي يعني الحماية والوقاية من النار ، بين كذلك الوقائية في قوله تعالى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف ١١ – ١٣) بمغفرة الذنوب ودخول الجنة مع وصف نعيمها ...إلخ .

خامسًا : أساس الطهارة

كما يمثل أساس (**الطهارة**) ركيزة أساسية في التربية الوقائية . وقد تكون الطهارة روحية معنوية ، وقد تكون مادية محسوسة . وهي في الحالتين تؤدي إلى حماية الإنسان ووقائه من كل ما يمكن أن يؤذيه : معنويًا وماديًا ، دنيويًا وأخرويًا .

وكدأبنا في هذه الدراسة ، تتجلى الوقائية التي يحظى بها الفرد نتيجة اتصافه بمبدأ الطهارة من خلال مظهرين : معنوي ومادي . وفي أحيان كثيرة يرتبط المظهران ببعضهما ، كما سنرى الآن .

([33]) (النيسابوري : أسباب النزول ، ٤٣٩ ، ٤٤٠)

وفي أساس (الطهارة) يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٦) .

والمتأمل في الآية الكريمة ، يجد أنها تحتوي على العناصر المكونة لأساس (الطهارة) ؛ فَثَمَّ الغسل (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) ، وثَمَّ المسح (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)، وثم الاغتسال (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) ، وثم التيمم بالمسح على الوجه واليدين ، في عدم وجود الماء (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) .

فإن قيل : كل هذا ينتمي إلى الطهارة المادية / البدينة / الجسدية ، فأين الطهارةالمعنوية ، أجاب سيد قطب بقوله : " فليس الوضوء والغسل مجرد تنظيف للجسد ، ليقول متفلسفة هذه الأيام : إننا لسنا في حاجة إلى هذه الإجراءات ، كما كان العرب البدائيون ؛ لأننا نستحم وننظف أعضاءنا بحكم الحضارة ، إنما هي محاولة مزدوجة لتوحيد نظافة الجسم وطهارة الروح في عمل واحد ؛ وفي عبادة واحدة ، يتوجه بها المؤمن إلى ربه . وجانب التطهر الروحي أقوى ؛ لأنه عند تعذر استخدام الماء يُستعاض بالتيمم ، الذي لا يحقق إلا هذا الشطر الأقوى ."٣٤

وهنا يقول ابن عاشور كذلك : " وقوله (ولكن ليطهركم) إشارة أن من حكمة الأمر بالغسل والوضوء التطهير . وهو تطهير حسي لأنه تنظيف ، وتطهير نفسي جعله الله فيه لما جعله عبادة ...فالتيمم ليس فيه تطهير حسي ، وفيه التطهير النفسي الذي في الوضوء ، لما جعل التيمم بدلا عن الوضوء "٣٥.

وعن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن نُعَيمٍ المجْمِر قال : رَقِيتُ مع أبي هريرة على ظهر المسجد فتوضأ فقال : إني سمعت النبي ﷺ يقول :" إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل "٣٦.

وكما هو معروف لغويًا ، أن الغرة هي البياض الذي يكون في وجه الفرس ، والتحجيل بياض في قوائم الفرس٣٧. وقد استعار الحديث الشريف الغرة لبياض وجه المتوضِئ ، والتحجيل لبياض أطرافه ؛ دليلًا على آثار

(34) (سيد قطب : في ظلال القرآن ، ٢٠٠٣ ، ٢ / ٨٥٠ – ٨٥١)

(35) (الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ٦ / ١٣٢)

(36) (الإمام مسلم : صحيح مسلم ، ١٩٩١ : ١ / ٢١٧)

الطهارة الروحية ، والارتقاء الإيماني والقلبي لمن يتوضأ . وكل هذا دليل على الوقاية الروحية المعنوية التي حظى بها الفرد المتمسك بأساس (الطهارة) .

ومن ضمن الوقاية الناتجة عن تمسك الفرد ب(الطهارة) ، هي حماية الفرد من الأمراض التي يمكن أن تلم بالإنسان في حالة الحيض والنفاس ؛ لذلك جاء تحذير الرجال من الاقتراب من أزواجهم في هذه الحالة المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة : ٢٢٢) .

وتتضح عملية الوقائية في قوله (هُوَ أَذًى) ، أي إذا اقترب الرجل من زوجته في غير طهر ، حتمًا سيؤذى ؛ لذا جاء الأمر (فَاعْتَزِلُوا) . ولا تقتصر الوقائية على هذا الحد ، بل أشارت الآية الكريمة إلى مظهر آخر من مظاهر الوقائية ، متمثلًا في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، وما معنى حب الله للمتطهرين إلا دخولهم جنته ووقايتهم من ناره وعذابه .

هذا ، وتوجد أسس كثيرة ، لو التزم الفرد بها ، لوُقِيَ وحُمِيَ من كل ما يضره ، سواء في الدنيا أو الآخرة ، منها على سبيل المثال : عفة اللسان ، وعدم الإسراف في كل مناحي الحياة ، والحفاظ على السمع والبصر والفؤاد ...إلخ . وكل من هذه الأسس لها ما يناسبها من الوقائية التي يحظى بها من يتربى على تلك المبادئ ، ويُنَشِئ نفسه على التغذي بها .

المحور الخامس : نماذج وقائية من القرآن الكريم للنفس والمجتمع :

وسوف نعرض بعض النماذج الوقائية التي جاء بها القرآن الكريم على سبيل المثال وليس الحصر لعدم إمكانية عرض كل النماذج الوقائية التي عرضها القرآن الكريم .

نماذج إيمانية

من يتدبر القرآن الكريم بتمعن يدرك أن القرآن الكريم يدعو إلى تجنيب الفرد والمجتمع الأسباب المرضية المؤدية إلى المرض ، سواء كانت عقيدية أم نفسية أو فكرية أم جسدية أم خلقية ، حتى لا يتحول المجتمع كله بفعل هذه الأمراض والمشكلات المختلفة مستشفى كما هو حال المجتمعات اليوم[٣٨] ، والإيمان بالله تعالى هو المحور الذي تشد إليه جميع خيوط الحياة ، وهو المنهاج الذي يضم شتات الأعمال ، وهو قاعدة بناء المجتمع الإسلامي ، ومنطلق الصلاح[٣٩] ، وبالإيمان بالله تعالى يمكن للإنسان أن يقي نفسه من الشرك ؛ لأن القرآن

([37]) (ابن منظور : لسان العرب ، ١٩٩٤ ، مادة (غرر) ، ومادة (حجل)

([38]) (فتحي يكن : التربية الوقائية في الإسلام : بدون تاريخ : ص ٣٩)

([39]) (يوسف محمد السيد : منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، ٢٧٥)

الكريم دائمًا يحذر منه ، ويبين خطره ، وعظم ارتكابه ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ٤٨) .

وكذلك فإن الإيمان بالله تعالى وقاية للإنسان من النفاق ، ولأن النفاق من أخطر القضايا التي تهدد المجتمع الإنساني المسلم ، والكذلك تهدد النفس البشرية ، فقد حذر الله تعالى كثيرًا من النفاق في القرآن الكريم ، لأن النفاق مرتبط بحيك المؤامرات ، والخداع في الظلام ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء : ١٤٢) ٤٠ .

وكذلك يقول تعالى عن المنافقين ، ويحذر المؤمنين الصادقين منهم ومن الانضمام إلى فريقهم ضد المؤمنين الصادقين : ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء : ١٣٨ – ١٣٩) .

ثم يحذر من عاقبة النفاق والمنافقين يوم القيامة فيقول تعالي : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء : ١٤٥) . وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة : ٦٨) .

ويعرض للخير والفلاح الذي يناله المؤمن المسلم ، وفي المقابل يحذر من عاقبة النفاق ، فيقول تعالى : لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (الأحزاب : ٢٤) . ويقول : لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (الأحزاب : ٧٣) .

وكذلك فإن منهج القرآن الكريم الإيماني يتمثل تربية وقائية للمؤمن من الذل والاستكانة والخوف والفزع والجزع ، لأن المؤمن في إقباله على الله تعالى لابد أن يقبل في كل أعماله بأنفة وعزة نفس وكرامة ، ولا يتكبر ولا يتجبر ، ولا يذل نفسه لمخلوق ؛ لأنه يعلم أن طريق الإيمان لابد أن يكون مفروشًا بالعزة ، إذ أن لله تعالى عز الألوهية ، وللرسول عز النبوة ، وللمؤمنين عز الولاية ، وجميع ذلك يكون لله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون : ٨) ٤١ .

ويربط الله تعالى بين المنافقين والأذلاء ، ويحذر من الوقوع في الذلة والمسكنة فيقول : ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء : ١٣٨ – ١٣٩) .

([40]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ٧٨) .

([41]) (القشيري : ٢٠٠٠ : ٣ / ص ٣٢٢ ، حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ٨١) .

وذلك لأن العزة لله وللمؤمنين الصادقين ، فقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس : ٦٢ – ٦٥) .

نماذج اجتماعية وأخلاقية

إن الله سبحانه وتعالى لما شرع للمؤمنين الإسلام فقد شرع لهم ما يحفظ عليهم دينهم في كل أمور حياتهم ، وبين لهم عوامل الخيرية والحماية لأنفسهم ، ولأبنائهم ، ولغيرهم من أفراد المجتمع المسلم ، فمنعهم من الكبر والغيبة والنميمة ، وسوء الظن ، والتجسس ، حتى يعيش المجتمع الإسلامي حياة ينتشر فيها التسامح والإخاء والمساواة بين الناس ، فلا فضل لأحد على أحد ، والكل متساوون كأسنان المشط ، ولا ينظر أحد إلى أحد بفوقية ، ومن أبراج عالية ، وكذلك الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص ، والمحاكاة في الأقوال والأفعال ، بالإشارة أو بالإيماء ، لأن السخرية تنافي ما يوجبه الحق ، وهي ظلم قبيح من الإنسان لأخيه الإنسان ، وعدوان على كرامته ، ومن آثارها أنها تقطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة والتراحم ، وتبذر بذور العداوة والبغضاء ، وتولد الرغبة بالإنتقام٤٢ ، ولأضرار هذه الصفات السيئة منعها الإسلام وحرمها على المؤمن السوي الأخلاق ، لأنها سوف تؤدي في النهاية إلى طرده من رحمة الله سبحانه وتعالى٤٣ .

وكذلك نبه القرآن الكريم على عدم السخرية من الآخرين ، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب ، والظن السيء بالمؤمنين ، والتجسس عليهم وغيبتهم ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات : ١١) .

وكذلك سلك القرآن الكريم مسلكًا فريدًا من تفشي جريمة القتل في المجتمع الإسلامي ، من خلال النهي عن القتل والتحذير منه ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنعام : ١٥١) ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء : ٣٣) . ووضح الله تعالى أن من يقتل مؤمنًا متعمدًا ، فجزاؤه عذاب جهنم خالدًا فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه ، وأبعده من رحمته وأخزاه ، وأعد له عذابًا عظيمًا (الطبري : ٩ / ص ٥٧) . لأن هذا المسلك من التحذير من جريمة القتل ، يمثل تربية وقائية للنفس البشرية

(42) (الميداني : ٢/٢٣٣)

(43) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ١٠٣ – ١١٨) .

وتحذيرها من سفك الدماء ، وسن القتل وجرأة الناس عليه ، فالقاتل بفعله يمثل قدوة للآخرين ودعوة لهم لممارسة مثل فعله [٤٤] .

نماذج اقتصادية :

مما لا شك فيه أن الاقتصاد من أهم أركان بناء الإسلام ، ومن عوامل نجاح أبنائه ، فبه تتقدم الأمم ، وإليه ينظر في مدى تطبيقها لدينها ، إذ جعل القرآن الكريم في قبول التصرفات والحكم فى صحتها ، والموجه في الفهم والتطبيق ، والمسيطر على جميع النظم والقوانين ، ولأهمية حماية أطراف التعامل الاقتصادي من الظلم والجهل والاستغلال في المجتمع الإسلامي جاء القرآن الكريم بما يحقق تربية وقائية لأسباب الرزق الحلال الطيب والسعي لنيله بلا تغرير أو خداع أو ظلم ، كالوقاية من الربا الذي يعتبر مفسدة للحياة الإسلامية الصحيحة ، ويمحق البركة ، لا يرتكبه إلا من فقد الوازع الديني ، وانتشر في قلبة اللؤم [٤٥]، لذلك حرمه الله تعالى فقال : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (سورة البقرة : ٢٧٥ – ٢٧٦)

فالربا عواقبه وخيمة ، وأضراره شديدة جسيمة ، وطرقه أثيمة ، والحِكَم التي حرم لأجلها كثيرة ، فهو بيئة خصبة لبناء مجتمع تسوده معاني الأنانية والحقد والحسد في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والفكرية ، فالربا يؤخذ مال الإنسان من غير عوض ؛ لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدًا أو نسيئة يحصل على زيادة درهم من غير عوض ، ومال الإنسان له حرمة ، وكذلك الربا ينشر الأثرة والأنانية ، وانعدام روح التضحية والإيثار ، ويقطع الروابط الأخوية وينشر الجشع والطمع والحرص والبخل ، مما يؤدي إلى الجبن والكسل ، وتوليد العداوة والبغضاء ، والدعوة إلى تفكيك الروابط الاجتماعية والقضاء على الشفقة والمرحمة والرحمة والتعاون بين الناس ، وكذلك ينشر الطبقية الكريهة ، ويسلط الغني على الفقير ، ويعطل الطاقات البشرية عن العمل والإنتاج ، ويرغب الأمة في القعود عن التطور والتقدم ، مما يؤدي إلى الفشل الاقتصادي[٤٦] .

([44]) (البيضاوي : ٢ / ٣١٩ ، حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ : ١١٥)

([45]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩ ، ١٢٠، الهيتمي : الزاوجر عن اقتراف الكبائر ، ١٩٨٧ : ١ / ص ٣٦٨)

([46]) المصدر السابق.

المحور السادس : النتائج المترتبة على تحلي المسلم بهذا النوع من التربية

إذا دققنا النظر فيما سبق من الأسس والمبادئ التي تكوِّن التربية الوقائية ، أدركنا نتائج عدة لتحلي الفرد بتلك المبادئ والأسس .

الأولى أن تحلي الفرد بهذه الأسس يعني التزامه بمنهج الله سبحانه وتعالى ، وإتقان العبادة لله جل في علاه ، امتثالًا لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات : ٥٦).

الثانية : تماسك بنية المجتمع والتحامه ، إذا نَشَّأَ أفرادُه أنفسهم وتربَّوا على تلك المبادئ القويمة ؛ لسبب بسيط وهو أن الذي أرشدنا إليها ، هو من خلقنا ، وهو العالم بما يصلح حياتنا.

وإذا تأملت أسلوب الشرط في القرآن الكريم ، وجدت هذا جليًا ، وبخاصة في التربية على تلك الأسس . يقول الله تعالى في أساس (التقوى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال : ٢٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق : ٢ –٥) .

وفي أساس الطاعة يقول تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء : ١٣) . وعلى هذا فقس .

ومن المعلوم أن أسلوب الشرط يضم ثلاثة مناطق لغوية : أداة الشرط ، وفعل الشرط ، وجواب الشرط . وبتأمل فعل الشرط نجد أن مضمونه ورد فيما يخص الفرد (التربية والتنشأة على المبادئ القويمة) ، وقد ورد جواب الشرط في جانب الله سبحانه وتعالى ؛ إذ هو المنفِّذُ لعملية الوقائية التي تنتج عن فعل الاتصاف المنوط بفعل الشرط .

وتكمن بلاغة هذا الأسلوب وروعته في أن الله سبحانه وتعالى وضع الإنسان في مسئولية أمام نفسه أولًا ، ثم المحيطين به ثانيًا ، ثم قياس درجة عبادته لله ومدى التزامه بالمنهج الإسلامي ، وأخيرًا تحديد موقعه ومكانه في الآخرة .

وقد تبلورت كل تلك المعاني في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (الروم : ٤٤) ، أي أن الإنسان هو المسئول عن نتيجة ما يختاره ، بعد أن وضح له رب العزة سبحانه وتعالى الطريقين في قوله تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد : ١٠) ، وبيَّن له نتيجة اختيار كل طريق .

الثالثة :أن اتصاف الإنسان بمبادئ التربية الوقائية ، تضع له القبول في الأرض. والقبول في الأرض يُعدُّ إشارة إلى القبول في السماء . فمن أحبه الناس أحبه الله .

الرابعة : أن تحلي الفرد بهذه الأسس تدفع المجتمع إلى الارتقاء والتقدم ؛ إذ إنه لا يمكن لمجتمع ما أن يتطور ويتحضر بدون قيم ومبادئ مستمدة من المنهج الإلهي. وهذا ما نلحظه في التقدم الغربي القائم على اللامبادئ ، وهو ما يجعله سريع الانهيار ، ومن ثم الوصول إلى مرحلة الزوال .

الأخيرة : أن تربية الإنسان على هذه الأسس من شأنها أن تجذِّر هذه المبادئ وتلك القيم الوقائية في المجتمع ؛ لأنها ستتواصل مع الأجيال القادمة . وفي هذا ما يبين أهمية دور الآباء في تربية الأبناء .

الخاتمة والنتائج

هذا ، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية :

أولًا : أوضح البحث أن تنشئة الفرد على أسس التربية الوقائية يُعدُّ فلاحًا له في الدنيا والآخرة.

ثانيًا : أن الأسس والمبادئ التي تكون التربية الوقائية بعضها مادي محسوس ، وبعضها الآخر معنوي روحي إيماني ، وأحيانًا تجمع الآية بين الضربين .

ثالثًا : أن عملية الوقائية التي تنتج من تلك العناصر المؤسسة للتربية ترد في الجوانب الفردية ؛ أي تخص الفرد المتربي على تلك الأسس ، وعلى المستوى الجماعي للأفراد المجتمع ككل.

رابعًا : أن مظاهر تلك الوقائية بعضها دنيوي أي أن الفرد يحصد ثمرتها في الدنيا ، وبعضها أخروي يخص الوقائية من عذاب الله سبحانه وتعالى في الآخرة .

خامسًا : أن تخلي أفراد المجتمع عن الأسس التي تؤسس التربية الوقائية يعني هلاك الفرد ، وهلاك المجتمع ذاته . ولك أن تقرأ قول الله تعالى الخاص بعدم الوقائية في الدنيا نتيجة المخالفة : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١) . فظهور الفساد في البر والبحر ما هو إلا نتاج عن تخلي الناس عن التحلي بأسس التربية الوقائية . وفي الجانب الأخروي نقرأ قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء : ١٤) .

سادسًا: أن تحلي مبدأ الوقائية قد يتضح في الآية الكريمة بجوار أسس التربية، وقد يحتاج إلى تأمل وتأويل ، وقد يوجد في موضع آخر ؛ مما يحتاج من الدارس إلى فهم القرآن الكريم من خلال الترابط بين آياته ، وهو ما يُسمَّى أحيانًا بتفسير القرآن بالقرآن .

سابعًا : أن تخلي أفراد المجتمع عن التحلي بتلك الأسس التربوية يعني تخلقهم بما يضادها . وهذا هو عمل الشيطان ووظيفته الأساسية في هذه الحياة الدنيا . ومن هنا كان الباري رحيمًا بنا عندما حذرنا من الشيطان بأسلوب بلاغي رائع في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة : ١٦٨) .

وكما حذرنا الله جل في علاه من اتباع الشيطان ، حذرنا كذلك من اتباع أوليائه وأصحاب الضلال الذين لم يتربوا على مبادئ التربية الوقائية ، فقال سبحانه وتعالى:﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف : ٣).

ثامنًا : أن هذه الأسس والمبادئ تعد تربية إلهية لبني البشر ؛ فهو خالقهم ، وهو العالم بكل خلية من خلايا الجسم الإنساني ، وبكل ذرة من ذرات تكوينه ، وبكل خالجة من خوالج نفسه ، وبكل خاطره من خواطر حسه ، فهو الأعلم بما يسعدها ، وما يكفل لها من الأمن والسكينة والاستقرار٤٧ .

تاسعًا : لا يعتبر القرآن الكريم منهجًا علاجيًّا إغاثيًّا فقط ، وإنما يعتبر منهجًا وقائيًا ، يقي المجتمع والأفراد من كل أمر سيء يمكن أن يحيق به ، بسبب تشرذمه ووقوعه فى الأخطاء التي تسببها الحضارة الحديثة من انفلات وخروج عن أمور الشرع الكريم .

عاشرًا : التربية الوقائية تعتبر مجموعة من الوسائل والأساليب المتخذة لحماية الفرد والمجتمع عن المساويء ، وتحذرهم من الوقوع في المهالك من خلال عملية الإصلاح والتهذيب والتنمية والتوجيه الجيد السديد لكل مناحي الحياة .

حادي عشر : سلك القرآن الكريم مسالك متعددة في التربية الوقائية ، منها ما هو خاص بالأفراد ، ومنها ما هو خاص بالمجتمعات ، فعلى المستوى الفرد سلك مسلك ترسيخ الإيمان ، وحمايته بسياج الخشية والإحسان ، وعلى المستوى الاجتماعى سلك مسلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريم إساعة الفواحش والمنكرات ، وشرع العقوبات الرادعة لكل فعل خطأ ، لضمان بناء مجتمع قوي يقوم على الخير والصلاح٤٨ .

وقد أوصى البحث بالآتي :

أولًا : وجوب تحلي أفراد المجتمع بأسس التربية الوقائية .

ثانيًا : قراءة القرآن الكريم بنوع من الإدراك والتأمل والفهم ؛ إذ هو كلام الله سبحانه وتعالى المعجز ، كما أنه يمثل منهجًا ربانيًا ، لا يمكن لعاقل أن يحيد عنه .

ثالثًا : فهم أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ، فلا يحده مكان ، ولا يحويه زمان . وليس منتجًا ثقافيًا ، كما ادعى أصحاب الاتجاهات العلمية والمناهج العقلية التي تغذت عقولهم على عفونات الثقافة الغربية

([47]) (سعيد إسماعيل علي ، القرآن الكريم رؤية تربوية ، ٢٠٠٠م : ١٨١) .

([48]) (حازم حسني : التربية الوقائية في القرآن الكريم : ٢٠٠٩، ١٨٩) .

رابعا : كثرة تناول هذا الموضوع بأبحاث مبتكرة ، وطرق جديدة ، وجعل هذه الأبحاث في متناول القراء ؛ للفت انتباه الناس إلى وجوب التحلي بتلك المبادئ القويمة .

المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم .
- الفنجري، أحمد شوقي (١٩٩١) . الطب الوقائي في الإسلام ، تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حسين ، أحمد ضياء الدين ، بني ياسين (٢٠٠٥) ، **أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي** ، الأردن ، عمان ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- إلهي ، فضل (١٩٩٩) ، **التدابير الواقية من الربا في الإسلام** ، باكستان ، إدارة ترجمان القرآن ، الطبعة الرابعة .
- زيود ، حازم حسني حافظ (٢٠٠٩) : **التربية الوقائية في القرآن الكريم**، الأردن ، رسالة ماجستير، كلية الدرسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية .
- العسقلاني ، ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ترتيب وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية .
- إبراهيم ، دسوقي (٢٠١٦) : **خواتم الآيات التي تشمل أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم . دراسة أسلوبية** ، القاهرة ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .
- الأصفهاني ، الراغب (٢٠٠٩) : **مفردات ألفاظ القرآن**، دمشق ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم –الطبعة الرابعة .
- الزركشي ، محمد بن بهادر (١٩٨٨) : **البرهان في علوم القرآن** ، بيروت – لبنان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل.
- الزمخشري ، محمود بن عمر (١٩٩٥) : **الكشاف** ، بيروت – لبنان ، ترتيب وضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .
- علي ، سعيد إسماعيل (٢٠٠٠) : **القرآن الكريم رؤية تربوية** ، دمشق ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى .
- قطب ، سيد (٢٠٠٣) : **في ظلال القرآن** ، القاهرة ، طبعة دار الشروق ، الطبعة الثانية والثلاثون .
- السيوطي ، جلال الدين (٢٠٠٢) : **أسباب النزول** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى .
- الطبري، محمد بن جرير ٢٠٠١ : **جامع البيان عن تأويل أي القرآن** ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي،القاهرة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى .

- ابن عاشور ، الطاهر ١٩٨٤ : **التحرير والتنوير** ، تونس ، الدار التونسية للنشر .
- الحسني ، عوض بن حمد (٢٠١٥) ، **بحث بعنوان (منهج القرآن الكريم في التربية)** ، السعودية ، ملتقى التربية بالقرآن – مناهج وتجارب ، جامعة أم القرى ، الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان).
- يكن ، فتحي (١٩٩٧)، **التربية الوقائية في الإسلام** ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة.
- مسلم ، مسلم بن حجاج (١٩٩١) : **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت –لبنان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى.
- ابن منظور ، محمد بن مكرم (١٩٩٤) : **لسان العرب** ، القاهرة ، طبعة دار المعارف .
- أبو زيد ، نصر حامد (١٩٩٠) ، **مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن** ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب .
- النيسابوري ، محمد بن عبد الله (١٩٩١) : **أسباب النزول** ، بيروت – لبنان ، تحقيق ودراسة كما بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .